

نشأة الكنيسة وصلتها بالقربان

حسب الفرض الماروني

بقلم انخوري فرنسيس البيسري

انا الخبز الحمي الذي نزل من السماء . ان اكل احد من هذا الخبز
يحيا الى الابد . واخبز الذي سأعطيها انا هو جسدي حياة العالم . الخبز
الحق اقول لكم ان لم تأكلوا جسدي ولن تشربوا دمه فلا حياة لكم في
انفسكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي وله حياة ابدية وانا اقيمه في
اليوم الأخير لأن جسدي هو ما أكل حقيقي : ودمي هو مشرب حقيقي . من
يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه .^(١)

اننا نستخلص من تعليم القديس يوحنا ، من اقواله هذه في القربان ومن
غيرها : النقاط التالية : في البدء كان الكلمة والكلمة كان الله وبه كانت
الحياة . ثم صار الكلمة جسداً وحلّ فينا واعطى جسده حياة العالم . ولما عاد
الابن المتجسد الى الآب بقيت هذه الحياة تعطى لكل مؤمن غذاءً هو جسده
وشراباً هو دمه . وهكذا هما الخبز والخمر : جسد المسيح ودمه ، اللذان يشركانا
في الحياة الالهية .

صلة القربان بالكنيسة عند الآباء

وانطلاقاً من هذه الكلمات والمعاني راح اللاهوتيون وآباء الكنيسة يعلمون
صلة القربان بالكنيسة ويلحون على هذه النقطة : « دور القربان في تنمية
الكنيسة واستمرارها في الوجود » . بنوع انه لا يخلو عصر من عصور الكنيسة
الآ واتي فيه اللاهوتيون والآباء على فاعلية القربان هذه . طبعاً لم تطرق هذه
النقطة كموضوع موحد تعطى فيه جميع مفاعيل القربان دفعة واحدة . انما اتت
افكار موزعة تدل على وجهات نظر وتكوّن في مجموعها ، نوعاً ما : صورة
عن الحياة في الكنيسة وان لم تكن واضحة المعالم . فعلمنا اجد الآباء ان القربان
غذاء روحي وحياة ابدية . وقال آخر : انه مبدأ وحدة يشد المؤمن الى المسيح ،
ويشد المؤمنين بعضهم لبعض الآخر . وبين آخر كيف يدفع القربان بالشهداء

يقدمون ذواتهم ذبايح مرضية للحمل المديح ويدل غيره كيف ان هذا السر وضع نحو الخطايا وان ما هنالك من وحيات نظر. وعلى سبيل المثال سمعي بعض الشواهد التي تدعم قولنا هذا .

« فتعليم الرسل الاثني عشر » يقول ان القربان هو رمز وحدة المسيحيين . فالكنيسة تطلب من ربيها قائلة : « كما ان الخبز كان منتثراً في الجبال ومصار واحداً عندما التأت اجزائه كذلك فلتكن كنيستك مجموعة من اقاصي الأرض للدحول في ملكوتك »^١ والصلاة هذه هي صلاة شكر قربانية . ويرى في القربان ايضاً مبدأ غذاء روحي . وحياة ابدية . وعربون نعيم خالد . لهذا عندما يشكر المسيحي يقول : « نشكرك اباراً لأنك اعطينتنا غذاء وشراباً روحياً وحياة ابدية بواسطة ابلن »^٢

وعلم القديس ايريناوس: اندي عاش في القرن الثاني ان القربان يعدي جسدنا الذي باتتاله تقبل عطية الله اعني الحياة الأبدية^٣ . وبعد ان يشرح كيف ان الكرسة المعروسة في الأرض تعطي الثمرة في حينها . وكيف ان حبة الخنطة الواقعة في الأرض لا تتلاشى بل بقوة الله ترتفع في الربيع نبتة جميلة وتكتمل في الصيف سنبلة مكتنزة حياً يكمل قائلاً : « هكذا اجادنا المتغذية بالقربان اذا دفنت في الأرض تبعث حية »^٤ . فلقربان اذا هو عربون حياة خالدة .

وهو ايضاً غذاء كاف لنمو الكنيسة وتطورها . فالكنيسة الام العذراء ليس لها حليب تغذي به اولادها . فالحليب الذي تعطي هو يسوع ابنها البكر ، « الثدي الذي ترضع منه العوالم الحياة والنور »^٥ .

وسر الافخارستيا هو من المواضيع الغريبة الى آباء القرن الرابع فلقد قال فيه « امبروسيو » : « انه عربون غفران الخطايا وحياة ابدية لأنه غذاء فائق الطبيعة »^٦ .

ولقد اجاد القديس يوحنا فم الذهب في كلامه على القربان حتى دعى عن حق « ملتان القربان » . فهو يبرهن فيما يبرهن ان غاية المناولة هي الانقاذ

(١) تعليم الرسل الاثني عشر ١٠:٩ .

(٢) تعليم الرسل الاثني عشر ١٠:٩ .

(٣) Contra Hareses : 5,2,2 .

(٤) Contra Hareses : 5,2,2 .

(٥) القديس الماروني : الأحد الليل : القوية الأولى الباعوث .

(٦) في اللازمير : ١١٨ العظة الثامنة ، ص ٤٨ .

بالمسيح ، والحصول على خيرة لحياة الأبدية . زد على هذا نعماً عديدة حالية تعطينا القوة والظهارة والحرية . ان فم الذهب ينادي المؤمن قائلاً له : « عندما تتقدم لتأخذ جسد الرب قل في نفسك : بفضل هذا الجسد لست بعد رماداً وديابلاً . وبعده حصلت على الحرية البتوية . وقل ايضاً : ان يبايع حلاصية جرت للأرض كلها من هذا الجسد المكارم والمطعمون بالحرية . فهذا هو الحب اللاسماهي »^١ .

ونم ينتص القديس اغوستينوس شيئاً عن سائر الآباء فهير يتكلم كثيراً على القربان واعطى خاصة الشيء الكثير في تمار المناولة . ومما قال : « ان القربان يدعى حياة وهذا صحيح لأن جسد المسيح هو حياة ابدية للذين يتناولونه »^٢ . ولكن اذا كانت الحياة الأبدية ونجس لدائم الثمرة الوحيدة والأخيرة للقربان فما هي ثمرة المباشرة^٣ فيجب ان المؤمن يتحد بالمناولة مع المسيح اذ يسكن فيه . ويسكن هو في المسيح : الشيء الذي يفيد قوة ونشاطاً في محاربة الأعداء الذين يناصبونه العدا . وهكذا يكون المؤمن والمسيح وحدة ليس فقط بين كليهما ولكن بين الاعضاء جميعاً »^٤ .

ولقد برهن كنارة الروح القدس القديس افرام عن قوة القربان في طرد الشيطان واعطاء الحياة اذ خاطب يسوع قائلاً : « ان خبزك يقتل الشيطان الذي جعلنا خبزه : وكأسك تبيد الموت الذي تغلب علينا . فقد اكلناك وشربناك لا لنهضمك بل لنحييا بك »^٥ .

صلة القربان بالكنيسة عند اللاهوتيين

ولا يقل اللاهوتيون في الكنيسة عن الآباء في فهم هذه الحقيقة والكتابة عنها . فهؤلاء بالاستناد الى الاناجيل وخاصة انجيل القديس يوحنا ، وفي شرحهم لكتابات الآباء يعلنون عن هذه النقطة ويشرحونها ويزيدونها وضوحاً . والأمر سواء عند اللاهوتيين القدامى أو المعاصرين . ولا عجب فتعليم الكنيسة واحد لأن الروح الذي يعلم هو واحد .

فالقديس توما الاكروني يبرهن على ان القربان يكمل ما بدأ به سر العهاد

(١) من تعليقه على الكورنثيين الأول ٢٤/٢-٥ .

(٢) العنة الحادية والثلاثون بعد المئة .

(٣) القديس اغوستينوس . العظة ١٧/٧١ .

(٤) افرام السرياني : العاشرة من قصائده في الايمان . اليماني المسيحية العدد العاشر ت ٢ ك ١٤

ويُسم الكنييسة التي ولدت على الصليب من حنق المسيح^(١). ومن احدث الأخطاء واتواها كلمة بيوس الثاني عشر في رسالته: «جسد المسيح السري» اذ يقول: «الكنيسة هي حقيقة نتيجة جسد المسيح»^(٢). فهذه الكلمات من تعليم الآباء جرات للكثيرين ممن يرون في الكنييسة جماعة مثل باقي الجماعات وجراب للذين يتساءلون عن العوامل التي ساهمت ولا تزال في تطور هذه الجماعة ونورها.

وربّ معترض يقول: هذه هي الجماعة الاسلامية قد عاشت طويلاً. والقنومات الدينية التي لكل ديانة تدل على انها سوف تعمّر طويلاً ايضاً مع العلم ان القربان ليس في عداد هذه القنومات فما الذي يميّز المسيحية عن غيرها؟ الجواب هو ان جماعات كثيرة. والاسلامية منها. لما ما جعلها تنسر في الوجود. فمنها التي تدين بالله حالفاً ودينياً. والتي تقدم الشهاد في سبيل العقيدة كالحلاج المسلم المتصوّف. ولكن المسيحية تختلف عن غيرها بأنها ليست ايماناً بتعليم فحسب بل هي شخص المسيح يكمل رسالته في البشرية. والدين المسيحي يمتاز عن غيره بأن المسيح موجود في الكنيسة وفي قلب كل واحد من ابناءها. فالمسيحية تكون اشهاداً والتديسين. ولقد تابعت سيرها عبر الأجيال ولما من دماء ابناءها قوة مستمدة من حياة المسيح الدافقة فيها.

وغداؤها من القربان ومن باقي الاسرار يعمل منها العجوز الفتية. بواسطة اقربان يحيا يسوع في كنيسته ويرافقها منذ البدء حتى النهاية. وبالقربان تقربى على الاعداء: وتقدم نفسها ذبيحة في سبيل من تحب. هو جسد المسيح يقربها فتشهد للتيم الروحية حتى سفك الدم اقتداء به وجأ له وللتقريب.

وهذا ما خبرته الكنيسة حيث وجدت تحت كل سماء وفوق كل أرض «فشهدت للمسيح في اورشليم وجميع البيودية وفي السامرة والى اقصى الارض»^(٣).

الموضوع في الفرض الماروني

والامة المارونية الصغيرة نالت هي نصيبها ايضاً من هذه الشهادة. هذه الامة التي عاشت في هذه الجبال منتظمة معظم ايامها عن الكنيسة وعن المسيحية

(١) الخلاصة اللاهوتية: (الثالثة من ١٠٦٤، ٢، ٤، ٣) III, q. 46, a. 2 ad 3.

(٢) «جسد المسيح السري» الطبعة الثانية من ١٠٣.

(٣) اعمال: ٨/١.

لم يكن رفيقها إلا القربان بعديها في سيرها وفي نموها معاً ولا يراز بعمل على ديموثيا. وكذا في الجماعات المسيحية عبرت عن بوعية حياتها هذه في الكتب وخاصة الطقسية منها. فمن تصفح كتاب الفرض الماروني علم ان القربان هو من المواضيع التي يأتي الكاهن على ذكرها كثيراً في صلواته. ومن رجوع وحال هذه الصلوات وجد انها تختص على العقيدة بنسبها التي علمها آباء الكنيسة ولاهوتيزها الا وهي صلة الكنيسة بالقربان ان في نشأتها او في ديموثيا.

وغابتنا في درسنا هذا تحليل ما قد نجد في الفرض الماروني من صلوات تأتي على ذكر الكنيسة والقربان شارولين اتحاد صلة مطقبة بين هذه الصلوات اد ليس في الفرض الماروني موضوع لا هو في تنوع فيه قواعد مدرسية موضوعية مطقبة. ولقد قلنا فرض الكاهن لسيرة عن الشجيم المعروف بدرس الرهبان وحتى بعد التارن باننا سرف لا نتطرق في هذا السبيل الى ما يوجد في كتب « المتعبد » والفروض الخاصة بالقربان.

فالفرض الماروني ليس سوى مجموعة من الصلوات يتاجي بها الكاهن زبه بل قل هي مجموعة صلوات شعب اذ الفرض في اساسه جماعي لا فردي. كان الشعب كله يشترك فيه وحي كان الله يطلب من الشعب ان يكون منطقياً في صلواته؟ أما يطلب عصارة قلب اذ يقول: « يا بني اعطني قلبك ». والشحيمة التي بين يدينا هي نبضات قلب احب حتى الامتلاء ففاض صلوات.

من هذه الصلوات سنحاول ان نكون موضوعنا. فنعطي في بادئ الامر باختصار كيف تعمل الكنيسة القربان وبالتالي تعمل ذاتها وهذا هو موضوعنا اي كيف ان القربان يعمل الكنيسة؛ فنقول كيف تبدأ الكنيسة حسب الشحيمة ثم دور القربان في بنائها وبقائها. وبكلمة واحدة سنبرهن كيف ان الانسان يقدم ذبيحة لله فيقبلها اذ قيل ان الله يقبل الذبائح. وكيف يعيد الله هذه الذبيحة بركات ونعماً تساعد على اكمال عمل المسيح على الأرض. فتقوي الكنيسة بتروح خاص حتى تؤدي الرسالة كاملة فتسير نحو غايتها حاملة بين يديها الكون بكل ما فيه مقدمة اياه للخالق قائلة: اعطني يا رب رسالة لأربح العالم وهاكه كما ربحته بالتاجرة وعندما يدخلها ربها الى جنانه ويمتعا هناك برويته وجهاً لوجه جزاء لعملها وذلك في سماء جديدة وأرض جديدة طالما انتظرتها.

الإنسان والدين : الذبيحة

الإنسان في طبيعته متدين . والدين عبادة بها نبرهن لله عن خضوعنا لأوامره وعن تسليم أنفسنا المطلق لمشيئته المقدوسة . وخلاصة العبادة هي الذبيحة التي ليست وفقاً على المسيحية بل هي موحدة عند جميع الأديان . ولقد قدم الإنسان الذبيحة لئله الذي يعبد في كل عصر من عصور التاريخ .

ثنا إن علم بوجود ربه : وفطن أنه مبدأ وجوده وغايته حتى أتجه نحوه مندماً بالإكرام اللائق والعبادة الفاتحة . مكرساً شخصه وكل ما يملك لخدمته تعالى . ولكنه ما اكتفى يوماً ولا في حنة من حنات الزمن هذا الاستعداد النسبي والإكرام الداخلي . لقد رأى من حية أن حصاده هو عنصر يقوم لتخصيته فمن الواجب إذاً إشراكه بعبادة الله ورأى من حية ثابته أن عبادته الداخلية تظل ناقصة إذا لم تتجسد في طقوس وحركات خارجية تعبر خير تعبير عما يختلج به في الداخل . وهنا كانت الحاجة ليكرس عطيته وتضحيته الداخلية الذاتية بعطية وتقدمة خارجية تكون رمزاً للاولى وصورة . وكثيراً ما اختار الإنسان لتأدية هذه المهمة المادة وخاصة تلك التي تعمل على بقائه عيشاً ، وفي ديمومته حياً فاستعمل المأكول من خبز ولحم ، والمشروبات من خمر وحليب وزيت وغير ذلك . وكأني به اختار هذه لأنها تكون معه وحدة وجودية لما هناك من اتصال وثيق بينها وبينه . ولقد كان الله يرضى بهذه الذبائح ويقبلها .

وبالفعل فإن الله قبل القرابين لقد « قبل قرابين الآباء إبراهيم واسحق ويعقوب » واغدق عليهم نعمه وكمّل معهم وعده . « رضي عن ذبيحة إيليا واستجاب صلاته وساعده على قتل كهنة باعال »^١ : ولذت له قرابين الكثيرين من مقدمي العهد العتيق وفي كل مرة كان يعيدها على مقدميها مثقلة بالبركات طافحة بالنعم « لأن الذبيحة لله روح منسحق والقلب المنسحق المتواضع لا يرذله الله »^٢ .

لكن ما كانت هذه الذبائح تنتهي للعدل الإلهي حقه فتخلص البشرية كلها من سلطان الخطيئة وتتجيباً من أسر الشيطان وترد للإنسان حق البنوة : فعلاً . فلنماء الأبرياء ، ولحوم الكباش والعجول ، وعصارة الكرمة ما كانت الأ صوراً ومورزاً وأشكالاً لا تنفي بالمطلوب ولا تعطي ما يربح منها ليس هذا

(١) للملك الأول ١٨/٣٦-٤٠ .

(٢) للزموذ الحين ١٩/٥٠ .

فقط بل ان هناك دبايح وطقوساً وثنية هي اقرب ما تكون الى المسيحية . ولقد بلغت فيها دركات الانحطاط حدةً بمعنى انها بدل ان ترتفع بطقوسها ومعانيها الى اسمى درجات الروحانية انزلت الاله عن عرشه وجعلت منه شخصاً عادياً ناسبة اليه صفات هو مترد عنها .

ذبيحة المسيح

ولكن ما طال الوقت حتى تغيرت معاني العبادة ومعها معاني الذبيحة . لقد راح الانسان يعبد الله بالروح والحق وابتلأت الذبيحة قداسة الهية . وربة سماوية . وهذا كان عندما انحدر الابن الكلمة الى العالم ليصوت مقدماً ذاته ذبيحة جازت انغلبة على الخطيئة وردت لنا الملكوت الذي فقدنا وعدها « بطلت جميع الذبايح لأن به كانت لنا العجائب الخييدة والمعجزات الباهرة »^(١) .

يقول لنا القديس بولس في رسالته الى اهل فيليبي : « ان المسيح الذي حو في صورة عبد صائراً في شبه البشر وموجوداً كبشر في الهيئة فوضع نفسه وصار يطيع حتى الموت ، موت الصليب فلذلك رفعه الله »^(٢) . نعم رفعه لأنه « بذل نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة مرضية »^(٣) . وكان عربوناً لهذا الرضى ان اعاد الله الينا هذه الذبيحة الالهية ببركات ونعماً لأنه ان كان دم تيرس وثيران ورماد عجلة يرش على المنجسين فيقدسهم لتطهير الجسد فكم بالأحرى دم المسيح الذي بالروح الأزلي قرّب نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائرنا من الأعمال الميتة لنخدم الله الحي ونفدى معاصينا فننال موعد الميراث الابدي »^(٤) .

وهذه النعم وهذه البركات لها مكانها في القرض الماروني الالهي . نعم ليست هناك اسماء لها ، خاصة بها . ولكن من تصفح كتاب الصلاة هذا علم ان ما هو موجود من هذه النعم والبركات هو مفعولها ومقدراتها الالهية الجبارة .

ولكن لمْ هذه ؟ وما هي الغاية من اعطائها ؟ والجواب هو انها اعطيت لتقدم الذبيحة عوضاً عن قربانه . ولما كان المسيح هو المقرب والمقرب ، الذبايح والذبيح كانت اولى هذه النعم ولادة الكنيسة من جنبه ، كنية رسالتها

(١) القرض الماروني : الجملة السابعة للسابعة ص ١٠٤ .

(٢) فيليبي ٢/٦-٩ .

(٣) افسس ٥/٢ .

(٤) عبرانيين ٩/١٢-١٦ .

اتمام ما لأجله صار المسيح انساناً . هذا ببارك الكاهن الماروني ربّه على عطية هذه ويشكره على هذه النعمة الفائقة ألا وهي هذه الكنيسة جسد المسيح وامتداده السري على الأرض فيقول : « مبارك البناء الذي شيّد كنيسته على راحة يديه ومن دم حري من جنبه »^١ .

والكنيسة المارونية لا تبعد في قوفا واعتقادها عن تعليم الكنيسة الجامعة . فبني تعلم ما علمه واعتقده الكثيرون من الآباء . اي ان الكنيسة ولدت من جنب المسيح عند ما تعرضت اخربة جنبه مع العلم ان كثيرين يقولون : ابتدأت الكنيسة عند ما تأنس الابن الكلمة . او عندما حلّ الروح القدس على التلاميذ . يقول القديس افرام : « ان المسيح بني كنيسته وثبتها بالحق وشو معلق في اعلى الجلجلة » . وفي مكان آخر . « ثبت اساساتها وبنائها بدمه »^٢ . ويقول القديس يوحنا في الذهب : « لا بدون سبب ولا صدقة حري هذا انبيوعان من جنب المسيح اذ منها ولدت الكنيسة »^٣ . وهذا ما علمه مؤخراً في هذا المعنى البابا بيوس الثاني عشر في رسالته : « الجسد السري » اذ قال : « لقد بدأ المسيح ببيان كنيسته عندما أعطى وصاياه : وكلها عندما علق ممجداً على الصليب »^٤ .

ان افترض الماروني يقول : « بني » ومن المعلوم ان البيان يتطلب أساساً وحجارة . اذ كيف يقوم ويرتفع وما هي اساساته ؟ واي حجارة بنيت منها الكنيسة ؟ اما الاساس فبطرس . فالكنيسة المارونية تدعو جميع بنينا ليرتلوا انجد للذي بني كنيسته وعلى سمعان وضع اساسها^٥ . وفي مكان آخر تعترف ان المسيح قد وضع في اساس الكنيسة لا بطرس فقط ولكن الرسل ايضاً . وأما الحجارة لكي يرتفع البيان شاهقاً فهم الشهداء : حجارة كريمة لا تقوى عليها الاعاصير ولا تنال منها الايام ولا يزيدنها التاريخ الاً جلالاً وتلوراً ، جدة وحياة وفي هذا تقول الكنيسة : « لقد بني المسيح كنيسته وجعل حجارة اساسها الرسل والشهداء الحجارة الكريمة »^٦ .

(١) صباح الخميس النشيد الرابع البيت السابع : ليل الأحد القيمة الثانية ١٩٥٤ .

(٢) لامي الجزء الاول ص ٦٧٠ نشرة امثورة رم ٣٥٣ الفقرة الثالثة عشرة .

(٣) Homélie 85. P.G. 59, col. 463.

(٤) الجسد السري : اعمال الكريسي الرسولي المجلد ٣٥ ، ١٩٥٣ .

(٥) صباح الثلاثاء النشيد الرابع حصصه : الساعة التاسعة من الاربعاء : الفتح حصصاً .

(٦) ليل الأحد القيمة الثانية نشيد .

رسالة الكنيسة

ولا بدّ من سؤال بطرح عن غاية ولادة الكنيسة وهل هناك من رسالة تؤدّي؟ ان الكنيسة انما وجدت لتكمل ما بدأ به المسيح . هي امتداد شخص المسيح عبر التاريخ . ورسالتها هي رسالته الا وهي خلاص البشرية . مسؤولية كبرى أقيمت على عاتقها وعليها ان تؤديها كاملة محطمة كل قوة تنف حاجرًا دون تحقيقها . لهذا عليها ان تنشأ حرباً على القوات التي توقف عمل المسيح في النفوس . فهي والحالة هذه سفينة خلاص في بحر العالم تتلاطمها الأمواج من كل الجهات ..

ولكن انى لنا ان تصل الى الميناء وحدنا؟ انى لكنيسة المسيح ان تنف في وجه أعداء نشر ملكوت الله على الأرض؟ لهذا . والحالة هي هذه . روّدها الله بقوى واسعافات لما منعولها العظيم ، وفي مقدمتها الاسرار ومن بين هذه سر الاسرار، سر جسد المسيح ودمه .

فالقران يعطي الكنيسة حياة جديدة ويجري في عروقها دمًا جديدًا لكي تكون بحق كما سماها الآباء القديسون « جيش المسيح »^١ و « عسكر الله الحي »^٢ . أما كيف يلعب القران دوره هنا فهذا ما سنينه في ما يلي :

دور القران في الكنيسة

ان لجسد المسيح ودمه دورين في الكنيسة . دور سلبي ودور ايجابي . أما الدور السلبي فهو نحو الخطايا التي يولد ابناء الكنيسة سلطخين بها « وبالخطايا ولدني امي » ، وتقييد الشيطان وتكيله ومن ثمّ تضميك الجراح التي تركها في نفوسنا عراكتنا الدامي مع عدو البشر . حتى اذا ما طهروا ومثلوا الى الشفاء تغذوا من « قوت الأرواح » وساروا في طريق الكمال والقران زادهم وعربون نعيمهم ؛ هذا النعم الذي تنشد الكنيسة لا وحدها بل العالم وجميع من فيه من طبائع ناطقة وغير ناطقة . والقران رابط يوحّد بين الاعضاء ويشدهم بعضهم الى البعض الآخر ، والى الكون بأجمعه ويقوي بينهم اواصر المحبة فيتبارون باظهار هذه المحبة تضحية وشهادة وذبيحة وهذا هو عمل القران الإيجابي .

ان الكنيسة وقد تيقنت من واقع رسالتها الصعب علمت انها فعلاً لا تقوى

(١) يوحنا نم الذهب : محورة في الكهنوت ٦/١ .

(٢) TERTULLIEN, *Ad Mortuos*, C.3 (P.L. I, 624 A).

سبي انقيامها على ما هي عليه من ضعف بسبب الخليفة التي ورث ابناؤها
بسبب رئيس هذا العالم الذي لا يزال يفضل سكان الأرض بالوجائب التي
اوتي ان يعملها^{١١}.

والكنيسة المارونية قد حيرت قوة خراب هذا العدو. كيف لا وهي تعلم
انه يجسده « اخرج الانسان من اجرة »^{١٢}. لهذا هي تصرخ الا يدخل اليها
فينتك باناثها وينهبها كذئب كاسر او يحرقها بسهامه المتقدة ؛ وفي ذلك
تقول : « لا يدخل يا رب الذئب المنفذ لرعيتك ويفتك بالخراف الموسومة
بوحك لكن ظللنا بسمك المنلعة مراحم واتقدنا من كل سهام السلاب
المخرقة »^{١٣}.

ولكن من يحيها من عدو محائل يتعد هلاكها. وخليفة دسة تطيح انفس
ابانها وتسهو قبيحة تنقل ايمانها وتعمل على تفرير اساسها فتهدد مصيرها^{١٤}

محو الخطايا ودحر الشيطان

اذا كان لا بد من التغلب على الشيطان عدو الكنيسة ، والسير قدماً
نحو الخلاص فليس للبيعة ان تستمد قوة الا من يسوع المتألم وليس لما الا ان
تعرف من نعم الذبيحة اللامتناهية . ألم يموت يسوع لأجل الخطاة ؟ « ألم يفسك
دمه على الجلجثة لأجل خلاصهم ؟ »^{١٥} ان هذا لا يختلف عليه احد فالمسيح
ذاته قال ان ذبيحة هو عن الجميع « لمغفرة الخطايا ».

والكنيسة في الفرض الماروني تؤمن ايماناً صادقاً وقديماً بموت المسيح لمغفرة
الخطايا . فهي ترى ان شعب الله كان اسير الشيطان بسبب الخطايا . لهذا
وجب ان يموت الابن ويقدم دمه لأبيه حتى يحرر كنيسته من ريقه الشيطان .
لقد قدم دمه ثمناً يشتري به الكنيسة وينقذها . والمصاني يذكر الاله المتأنس
مرات عديدة بعمله هذا . فهو يطلب منه ان « يذكر بيعته التي اشتراها منذ
القدم »^{١٦} . واذا اراد ان يطلب منه طلباً يقول له : « ان نفوسنا مشتراة بدمك
مشتداة بك »^{١٧} وعلى هذا يشكره باسمه وباسم العالم اجمع لأنه افندى الجميع

(١) رؤيا ١٣ / ١٤ .

(٢) ماء الاربعاء فهو صوم .

(٣) ماء الثلاثاء فهو صوم .

(٤) يا أبا الحنّ الحنيس الساعة التاسعة صوماً .

(٥) الحنيس الساعة السادسة فهو صوم نحو الآخر .

(٦) صباح البيت صوماً البيت الثالث .

واستراحم . وما هو يقول : « في كنيسةك يسجد لك الشعوب والامم والتبائل
المشتركون بك والمفتدون بصليتك »^١ .

« وهكذا حرر المسيح الكنيسة بموته . وقيد العدو القوي . وقطع من كل
واحد منا رباطاته وكسر اكباله وقيوده وبثحريرها حرر الكون كله لذا يشكره
الاحياء والموتى ويمجده الناطقون والصامتون لأنه بصليته انقدهم »^٢ .

وبانقاذه لخطيئته عى المسيح خطاياها التي بواسطتها كان في نية الشيطان
ان يهلكها . وما غايته من وراء اعطاء سلطانه الكهنوتي لرسله الا ان يعمل
هؤلاء كما عمل هو ، وان يكملوا ما بدأ به : فيكهنون اسراره حتى يكون التقربان
باراً محرق كل خطايا البشرية التي تبعد الإنسان عن خالقه : وتفرقه عن اخيه
الانسان وحتى يفيد من التقربان كل انسان أتى وحد وفي اي زمن وجد . ويكون
صليب التذات رسماً منيعاً بقي البشرية من الهلاك ويحفظها من التلاشي والموت
المسيبين بالخطيئة . فالتقربان وضع لمغفرة الخطايا ولكي تتمكن الكنيسة بقوته
ان تعدد للمجد الابدي شعباً مقدساً طاهراً . فلو لم يسلم المسيح جسده لئذ
الغاية ولو لم يتألم ويموت ويقوم لما كان باستطاعة الكنيسة ان تمحو الخطيئة
وان تغلب عليها نهائياً وبالتالي ان تعطي لأبنائها الحياة الأبدية .

وتقد علم مؤلف النرض الماروني مشغول التقربان وقدرته في محو الخطايا
فراح يتلأ كتاب صلواته بمعرفته وإيمانه . فالمسيح مات لأجل الخطاة ودمه
سبك لغفران الذنوب . وسواء كان المسيح على الصليب او على المذبح فهو
يدعوا اعضاء جسده السري ان يستفيدوا من كنوز محبته هذه . فاذا شاءت
الكنيسة ان تتخلص من الخطيئة ترفع عينها الى ذلك الذي ستر على الصليب
لأنجل الخطاة . واذا تمادى ابناؤها وذهبوا بعيداً في طريق ضلالهم واحت
بعظم الخطيئة وندمت على تصرفها المشين فين راحم الخطاة تطلب الغفران
والحنان . ولنسمعها تصرخ قائلة : « يا من سترت على الصليب بالمساير
ودعوت الخطاة لحيوا ؛ ها كنيسةك تدعوك وبفم اولادها تنشرع اليك فاستجبها
يا راحم الخطاة وارسل اليها من كثرتك حناناً وغفراناً ومراحم »^٣ .

ولا تلجأ الكنيسة الى الصليب الا لأنها تعلم ان « بالصليب تمحى

(١) ماء الاحد النشيد الثاني ص ٤٤٠ .

(٢) السبت الساعة السادسة ص ١١٠ .

(٣) الجمعة الساعة السادسة ص ١١٠ .

الخطايا^١ . وهذه التثنية الثيوبية والإيمان الشديد يتحلى بها كل من ابنائها . فكما هي . كذلك كل واحد يندم على خطيئته ويصرخ نحو المصلوب الذي مستحلاً أباه « بحق الخربة التي ثغرت جنبه فوق الجلجلة على الصليب ان ينفضه بندي العنزان^٢ » .

والمسيح الذيحة عن خطابانا هو كذلك . سواء كان على الصليب أو على المذبح . ودمه الحبي يغفر الذنوب سواء كان معلقاً على الصليب بين السماء والأرض أو حونه ابدي الكهنة على المذبح . فالذيحة واحدة . هو المسيح الذي يقرب على المذبح وادا قدس الكاهن يفعل ذلك بقوة يسوع . هذا تقول الكنيسة . « السجود للامر الذي علم كهنته واحترام لخدمته اسراره^٣ » . فالكاهن هو خادم المسيح . الضحية والتقربان على المذبح : « يا انا الحق هدا ابنتك ذيحة ترسبت ... خمدت قرباناً من يدي^٤ » . وذيحة الصليب هو مئذمتها وفي ذلك تقول الكنيسة : « مبارك الذي ذبح نفسه » وهو ايضاً الضحية والتقربان اذ الدم المنهور على الجلجلة هو دم الابن لمغفرة الخطايا . بالصليب كما رأينا تمحي خطابانا : « وكذلك أيدي الكهنة تقدم الذبائح عن الخطاة^٥ » . وبكلمة واحدة يقول كاتب نصوص الشحيمة : « ان السيد اولم لخطيئته وليمة وقدم لها فيها الصليب والمذبح المقدس الطاهر الموضوع عليه جسد المسيح لمغفرة الخطايا » .

التقربان دواء الحياة

ولم تكنف الكنيسة من التقربان ان يخلصها من الشيطان ويطهر قلبها من عمله الشرير : بل رأت فيه الدواء الثاني الذي يضمّد الجروح التي تركها الشيطان والخطيئة في الأجساد والنفوس . فالتقربان يدعى في السريانية « صفا وقتا » = دواء الحياة هذا تصرخ اليه الكنيسة قائلة : « ارسل الينا من كنزك دواء الحياة الثاني كلوم اتفسنا واجسادنا^١ » . فباتعادنا القلبي مع المسيح نأخذ لنا غذاء ودواء يقوي حياتنا الروحية ضد كل امراض الخطيئة . وبما ان هذا السر موسوم بوسم الآلام الذي به غلب المسيح الشيطان ، فهو لا يزال يخيف الشياطين ويرعبهم فيولتون هارين .

(١) الجمعة الساعة السادسة ص ٥٥٥ ص ٥٥٦ .

(٢) سائر الجمعة التثنية البيت الرابع .

(٣) ليل الجمعة الثوبية الثالثة الباعث .

(٤) ليل الاربعاء الثوبية الثالثة ص ٥٥١ .

(٥) صباح الخميس الصلاة التي قبل التثنية الثالث .

ومن تصنع الفرض الماروني حمر ان المسيح قد خضع العالم من قيود الشيطان والخطيئة وحرره من اكبالها وبهذا فتحت بوجهه ابواب السماء بعد ان اغلقت . وغلب الموت فلا قيام له بعد الآن فالتديس بولس يقول : « اين شوكتك واين غلبتك يا جحيم ١ . ولكن القارئ يلس ما احدثت الخطيئة في المركب الانساني من بلبلة وتشويش وكيف هدم الشيطان كل توازن في القوى الانسانية . أجل قد خلص ابن الكنيسة من عبودية الشيطان وسلطان الخطيئة ولكنه لا يزال ضعيفاً اذ كل شيء في العالم يستهويه . وكل وسوسة شيطانية تغويه وتولد فيه شهوات كثيراً ما تكون جامحة تفلت مضجعه ، وتحرمه الراحة ، وترجمه اى ما كان عليه نوعاً ما قبل مجيء المخلص . وليس باستطاعته وحيداً ان يصمد في وجهها هذا هر يطر الى سيده وربّه طالاً اليه « ان ينجيهِ . نحق حسده الذي اكله ، من الشهوة القبيحة فيرقد وينام بالراحة . وليكن دمه الاظهر نه حارساً » . ويستحلفه « بحق ذبيحته عن الجميع ان يعد الشيطان حتى لا يضرو » ١ وما طلبته هذه الا لايمانه بقوة التبران « الذي وضعه فينا ، يسوع ابن الملك ، آية حياة اذا رآها العدو حرب منها » ٢ . وفي هذا يقول القديس يوحنا فم الذهب : « انا ونحن عائدون من مائدة الخلاص نشبه اسداً تفر ذياً فتخيف الشياطين » .

هنا يقتضي بنا المطاف مع عمل التبران السليبي في بناء الكنيسة . هذا اذا امكنا قول ذلك لأن عمل التبران هو عمل دائم ، عمل كل ثانية وكل دقيقة من حياتنا . اذ لولا حياة المسيح الطهور فينا لجرنا ثقل خطايانا حتماً اى لجة الموت ، وما كان لطبيعتنا الخاطئة الجريح هذا التجدد الدائم في حياتنا الروحية والالوية فلماذا ترفع الكنيسة التسييح والمجد ... للمخلص الذي جعل صليبه سوراً منيعاً لرعبته ، وسلّمه ترس نجاة الى بني ميراثه ، ورفع به رأس رعيته ، وحفظ به قطع خرافه . ولا تتوقف هنا بل تصرخ : « مباركة يا خشية الحياة ايها الصليب المقدس مانع الخلاص للعالم . آت انت الراية المنتدزة من وجه السهام : وانت علامة الظفر في القتال . بك يكون لنا السلام ، وتفتخر الكنيسة ويصان بنوها ، وتقدس اجسادنا ، وتزدهي ارواحنا وتمحي خطايانا » ٣ . وفي هذا المعنى يقول القديس افرام : « انحدر دواء الحياة من الاعالي وامترج

(١) متار الاحد ص ١١١ .

(٢) صلب الخسيس النشد الثالث معه .

(٣) الجمعة الساعة السادسة ص ١١١ .

بالمجلد. الثرة الماثثة». وايضاً راعى الخبر للمات اما كان الحر دواء الحياة»^١.

دور القربان الايماني : بناء الكنيسة

لقد بالعا في قصة دور القربان الى طرفين . فالقربان حياة وتنظيم الحياة على السؤال الذي عملنا هو ايقاف كل حيوية وقتلها . ولكننا متيقنون ان من يقرأ هذا البحث يعلم جيداً ان دور القربان واحد . والحياة واحدة تعمل سلبياً وتعمل ايجابياً في آن واحد . فالحياة الالهية التي غفرت خطايا . ومحت ذنوباً فيصت ما كان وخبأ . وأتحت ما كان ميتاً . وأتمت ما كان مكليماً . واقتلعت من انقلب كل رسة الى التفرقة والعص ولاياية هي دتبا سكون غذاء للكنيسة يبرها نحر الحياة الأبدية . وراى وحدة بين المسيحيين بل قل مع العالم اجمع . وعادل محبة ونضحية في سبيل الغير .

فما تقدم تظهر لنا الكنيسة وكأنها اصبحت قديرة بعد تطهيرها وشفائها من امراضها ونجاتها من كل شهوة شيطانية على السير قدماً نحو الغاية التي لأجلها وجدت . وان تقوم خير قيام بمهام الرسالة التي اليها وكلت ، وعلى عواقبها وضعت . انما الحقيقة والواقع بغايران الظاهر . الكنيسة هي الآن اشبه ما تكون بمرضى اشنته عناية الطبيب : واعادت اليه صحته عتاقيره . وضمدت جروحهم بلاسهم وضاداته ولكنه لا يزال بحاجة الى تغذية لينتقل من طور الشاهة هذا الى طور العمل البناء . ان الكنيسة بحاجة الى غذاء .

القربان غذاء روحي

ففي الخطاب الذي اتقاه بعد اعجوبة « تكثير الخبز » يشدد السيد المسيح على انه هو ، هو ذاته ، خبز الحياة . قال لليهود : « انا خبز الحياة . آباؤكم اكلوا المن في البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء لكي لا يموت من يأكل منه ؛ ان أكل احد من هذا الخبز نجيا الى الأبد والخبز الذي سأعطيه انا هو جسدي حياة العالم . فجسدي هو ماكل حقيقي » . ولقد قال توما اللاهوتي : « ان كل ما يعمل الغذاء للحياة الجسدية ، يعمل هذا السر للحياة النائقة الطبيعية . فهو يحفظها وينميها وينعشها ويلذذها »^٢ .

(١) لامي الاول ص ١٥٥ : ٤ / ٦٠٣ .

(٢) الخلاصة اللاهوتية : الثالثة السؤال ٧٩ الفقرة الاول . 1, 79, q, III .

امّا كيف يحفظ القربان . الغذاء الروحي . حياة الكنيسة بهذا ما برهنا عنه في القسم الأول . فيما يلي سنرى كيف انه ينمي هذه الحياة وينميها .
القربان غذاء روحي للكنيسة لأن المسيح ودهيا جسده مأكلاً ودمه مشرباً روحياً . وفي هذا « تبارك من ذببح نفسه لأجلنا ومنحها جسده مأكلاً ودمه مشرباً روحياً »^١ .

ومن طبيعة الغذاء انه لا يحفظ من الضعف والتلاشي فقط بل يزيد حيوية وقوة واندفاعاً . ومن خواص الطبيعة الالهية التي اخذناها بالعماد التطور والنمو . ولقد بلغ اعتقاد الكنيسة المارونية في ذلك شأواً فأعطت القربان نوعاً تطلق عادة على الغذاء الأكثر فاعلية في نمو الطبيعة الانسانية . « فهو مرعى حص دسم ومترب لا يعطس شاربوه . ودور نار وهو روح » . ومن طبيعة هذه النوع « دسم ، نار . روح » انها تحوي على طاقات حرارية روحية اذا ما تفجرت احدثت المعجائب . والقربان لم يذبح الا ليعطي الانسان مثل هذه القوى بل واكثر بما لا يُقدَّر اذ ان عطية الله ذو قوة لا متناهية . فالمنسبح يذبحه : « وضع امام كنيسته مرعى خصباً دسماً ومنزج بمخلفها مشرباً لا يعطس شاربوه فما عليها اذا الا ان تتقدم فتأكل في الخبز ناراً وتشرب في الخمر روحاً »^٢ .

وغاية هذه العطية هي ان تنمي فينا القوى الالهية فنصل بفضلها الى اسمى ذرى الكمال الروحي ونشهد بالله . فالكنيسة تأكل جسد الرب « وتشرب دمه حتى تترين بالنار والروح وتدخل معه الى الملكوت » . وغاية الكنيسة هي الانحاد الكلي بالله كمال الكائن البشري وغايته القصوى . ودور الافخارستيا هو ان يقودنا اليه تعالى . وذلك يحدث عند ما تأخذ بسوخ بالمناولة عربون حياة ابدية : و « عربون نعيم دائم » فيعطينا قوة تساعدنا لنصعد طريق الجبلجلة التي تؤدى بالمسيحي الى المجد السماوي .

ولقد حسنت تسمية القربان « بزاد أخير » او « زاد السفر »^٣ او « زاد البركات »^٤ . فمن المعلوم ان للزاد قيمة اذا ما ابتعد الانسان عن بيته وخاصة اذا كانت غايته القيام بسفرة طويلة . ولقد فهم الموازنة قيمة الزاد الروحي كما

(١) سار الأحد النشيد ص ٥٤ .

(٢) سار الأحد النشيد ص ٥٤ .

(٣) صلاة شكر في القديس الماروني - جناز الرجال العن الثاني .

(٤) مساهمة السبت ص ٥٥ ص ٥٦ .

فهتته الكنيسة . يخبر المطران حبرائيل الصهيوني (١٦٥٨) انه من عادة الموارنة حتى القرن الثالث عشر ان من يذهب منهم في سفر خطر او الى حرب كان يحمل معه القربان كراد «^١ : ولما كانوا لا يجهلون ما للقربان كمذاء من مفعول في تجديد التقوى التي نخسرها يوماً راح كهنتم « يتخلون بسر جسده ودمه ويرويد انقضيح كمال يوم بالايمان موارد كأس الحياة والخلاص . حياة جديدة تجدد ما شئت وتخلص الكنيسة مما علق بها من خطايا عرسية فد تعميق سيرها نحو الأبدية . أليس في هذا المعنى ما يقوله المجمع التريديتي . نحن المناولة غالباً وكل يوم اذا امكن .

ويستقي العرص الماروني ما أتى فيه من تقايد الكنيسة الجامعة فترتيباً بيسر « Tertullien » يقول : « ان حسد المسيح يعذي حسد الذي يتناوله »^٢ . ويقول القديس بروجنا هم الذهب : « اعطانا جسده لنسكه ونأكله . يا لحب اللامتاهي ... لقد اعطانا جسده ليشبعنا بمحبته »^٣ . ويقول افرايم السرياني بلسان السيد المسيح : « اعطيكم خبز الحياة »^٤ .

وانه لمن الطبيعي ان يترك لنا المسيح هذا الغذاء الروحي عربون محبته . لأن غاية تجسده وافتدائه البشرية الخاطئة انما كانت ليشارك الانسان في الطبيعة الالهية (٢ بطرس ١/٤) . واما هو مسلم به ان بذار الحياة الالهية التي وضعها المسيح في الانسان تحتاج الى غذاء بتلائم مع ذات جوهرها وذلك لحفظها واتماها وازدهارها . وهذا ما دفع بيسوع فوضع سر جسده ودمه : وهذا ما حدا به ان يلع شديد الالحاح في ان يتغذى الجميع من هذا الطعام الالهي . وعلى هذا الدستور وهذه الشريعة نهج الكهنة في الكنيسة من عهد الرسل حتى الآن . وهذا سيدوم ما دام وجود وذلك حتى يظل القربان مصدر قوة في العالم توثق طاقات البطولة في مختلف ميادين الفضيلة والقداسة ، البذل والعطاء .

وهكذا ينيذ ابناء الكنيسة بتقربهم من المناولات العديدة اليومية عن اهلية واستحقاق : اي وهم بحال النعمة : قوى لا متناهية تساعدهم على تفهم اقربى وجدانية للمسيح ومحبته حبة اشد : « لأن القربان لا ينفع من كان بعيداً

(١) HANSJENS, *Institutiones liturgicae de ritibus orientalibus*, t. II, p. 500, II, (١) Rome, 1930.

(٢) ترتليانوس : في قيامة الأجساد . 8. *De Resurrectione Carnis*.

(٣) في الرسالة الاولى الى الكورنثيين العظة ٢٤ : ٤/٢٤ . *In I. Cor. hom.*, XXIV, 4.

(٤) لامي الأولى ص. ٣٧٩ الفقرة ١٤/٦ .

عن ابن الله^{١١} بل من عاش معه واحبه . عندئذ يبتعد المرءون عن مائدة الخلاص وقد اخذوا لشغوسهم دافعاً للمحبة حاسبين بتجدد في حياتهم الداخلية . وهذا التجدد الداخلي ، واغبة الجباشة النياضة « لأن القربان هو سر اغبة والسر الذي يعطي المحبة » - حسب القديس توما اللاهوتي - يتنحاز عبور المسيحي الداخلية فيرى عظم محبة المسيح للجنس البشري : فيرى جسد الرب ودمه مفصولين على المذبح كما على الجذجلة : وينهم عندئذ ان المسيح لم يمت عن البشرية بنوع غامض بل مات لأجل كل انسان في اي عصر وجد وفي اي بلد كان ولهذا هو يقدم ذاته كل صباح لكل النفوس كما لو ار كل واحدة منها كانت بوع خاص موضوع محبته الوحيد . وهكذا يتمسك كل مزمع ان يردد مع القديس بولس : « احبني وبذل نفسه دوني » فأتناوله كطعام حتى انه كما اصبح واحداً مع الخبز الذي آكل ، اغدو واحداً مع المسيح . وهنا بلغ الحب ذروته وهل اسى منه واروع؟

القربان غذاء للشهادة

لكن لا يلبث المسيحي الذي يتناول بتقوى جسد الرب ويفقه نبل محبته لبني البشر ان يبادل المحبة بمحبة . فوجود المسيح بكل طاقاته الاخية والانسانية في قلب الانسان ليس وجوداً سلبياً ميتاً بل هو وجود كله حيوية . الم يقل السيد : « اني جئت لألقي ناراً على الأرض ولا اريد الا اضطرامها^{١٢} . » ويأتي الى قلوبنا ايضاً ليلقي فيها ناراً لا تلبث ان تتحدث حريقاً يجعلنا نلعب في محبته . ولقد كان القديس منصور دي بول يقول : « الا تحموا ايها الاخوة بالنار الالهية تضطرم في صدوركم عند ما تتناولون جسد الرب »؟

وفي الفرض الماروني نرى الشهداء كأناس امتلأوا من محبة الابن ففقهوا هذه المحبة : عرفوا انه الوحيد الذي قدر ان يقدم الذبيحة للعدل الالهي وليست اية ذبيحة بل جسده ودمه ، ورأوا انه لولا محبته لكانت البشرية تئن تحت وطء الخطيئة وانى لما ان تخلص لولاه ! ومن جهة ثانية فهموا ان المسيح لا يزال يطلب ان يكون في كل العصور ذبائح تقدم ذاتها مثله عوضاً عن المجموع . مروره وسط العالم . كان عابراً فوجب ان يوجد من يكمل عمله . « الشهداء وهم

(١) ليل الأحد القوية الثالثة ، ص ٢٣٩ .

(٢) لوقا ١٢/٤٩ ص ١١٠ .

الحملان البروة والردعاء. تأملوا بالحمل الالهي الذي صار ذبيحة فصاروا لأجله ذبائح وقد تلهبوا بنار محبة الله»^١.

في البدء كانت الكنيسة تطلب من القربان ان يكون لها ترمماً يقبها ترم الخطيئة ويساعدها ان تصعد قوية في وجه كل انشورات التي تعترض يسا سيول احبة التي تبعث من اعالي الجبلجلة . ولكن بعد أن أدنت شر الشيطان ومكايده اتبح ذا ان تنجيه نحو الكمال وان تصعد درجانه بكل حربة مجتهدا ان تعمل اعمالاً ايجابية في هذا المضمار. لقد وصلت الآن الى درجة نرغب فيها ان تموت لتحي مع المسيح وهدد اسمى الدرى الروحانية التي تتحد بها النفس بالله اتحاداً وثيقاً ولقد قال السيد المسيح : « من يأكل جسدي ويشرب دمى يثبت في وأنا فيه » .

ولقد مر الشهداء في هذه الدرجات . هم ايضاً ناضلوا في سبيل الحصون على الكمال المسيحي تدفعهم القوة القربانية الكامنة فيهم ولما وصلوا الى درجة سامية يغذيهم القربان راحوا يقدمون ذواتهم ليغذوا بدورهم الكنيسة ويزينوا تاجها بمجارة كريمة جديدة . فالمنافسة قد وحدث نوعاً بين ابناء الكنيسة وبين المسيح « لأن جسد المسيح ودمه امتزجا بأعضائهم فوحّد الرب لاهوته بناسوتهم : وناسوتهم بلاهوته : حيويته وميتوتهم . اخذ ما ذم ووهبهم ما له »^٢ وكان نفسه قد شدت نفوسهم فتمسرت سلوكتهم . فغدا همهم الأول ان يرضوه في كل ما يصبو اليه ومن هنا كانت نقطة الانطلاق والتحول في حياتهم فيم ليسوا كما كانوا . من الآن وصاعداً هم يقاسمونه افكاره ويعتقون رغائبه واراداته ورغبتهم الأولى هي تحقيقها لأنهم « ليسوا هم الذين يحيون بل المسيح يحيا فيهم » . وهكذا يدفعهم الى الكفر بذواتهم ونسيانها ، والى التضحية بأنانيتهم وذبيحتهم لا يفكرون إلا بالسيد ، ولا يعيشون إلا له . ويا لسعدهم اذا ساهموا في تميم ما لأجله انى الى العالم .

وكيف لا وهم قد شربوا من الخمرة التي اريقت على الصليب فسكرت عقولهم وشاهدوا السيوف والنار الخيفة بألم العين وما ارتعدوا لأن نار محبة الابن الاله توقدت في اذعاتهم»^٣.

وحكنا يظهر لنا القربان وقد لعب دورين في حياة الشهداء. ولجملة التي

(١) ليل السبت للقوة الثانية جمعاً .

(٢) القديس الماروني قبل تناول الكامن .

(٣) مسه الجملة النشيد الاول موصلاً .

سبقت هي شبه ملخص لعمل القربان في المسيحي. فما أقام الشهداء وبكرامتهم لدواتهم مفضلين الموت في محبة المسيح على الحياة بشوهة ؛ وما احتقارهم العذابات الشديدة المتنوعة والحزء بها ، والاسراع الى دخول الجهاد وابغاضهم لشهوة ان العالم الزائل وشجبهم لابليس ؛ وانتصارهم عليه سوى نتيجة لارتوائهم من تلك الخمرة التي عصرها اليهود على الصليب ؛ وشربهم منها حتى السكر . هي نار شمت في داخلهم فحوكت كيانتهم وادّت بهم الى ما رأينا : بغض للحياة الزائلة ، وتغلب على الشيطان ؛ واسراع الى الموت . والاستشهادات عديدة في القرض الماروني والافكار ذاتها ترد نوعاً ما كل يوم من ايام الاسبوع^١ .

« من الخمرة التي عصرها اليهود على رأس الصليب شرب الشهداء ولم يخافوا بل اسرعوا فدخلوا الجهاد وتغلبوا على كل الصيقات^٢ » وما هذا الا لأهم ارتبوا من هذه الخمرة « فظفروا بحربهم وجهادهم وشجبوا الأبالس وانفصروا^٣ » وفي القرض يذكر « ان شهادتهم هي تشبه بشهادة رئيسهم الذي اهرق دمه وارواهم فاستهانوا الأعدية المرة وخروا بها^٤ » . يقول القديس قريسيانوس « ان الذين نعدهم ونحتم للجهاد يلزمهم اسلحة وثياباً تقيهم من سهام العدو . فجد الرب ودمه يحفظانهم ، اذ يجب ان يكون القربان ترساً للذين يأخذونه والذين نريد ان يصمدوا في الجهاد . فكيف نعلمهم ونحتم ان يهرقوا دماءهم مقتدين بالمسيح ؛ اذا كنا نرفض اعطاءهم جسد الرب ؟ كيف يمكنهم ان يشربوا من كأس الشهادة اذا كنا لا نقبلهم يشربون في الكنيسة كأس المسيح^٥ » .

هكذا غدا الشهداء في كل الكنائس « كأشجار الفردوس الشمية حتى انه كما الاشجار تعطي الأثمار في هذا العالم الزائل كذلك يعطي الشهداء الاسعافات من القوة التي حلت بأعضائهم^٦ » . قال ترتليانوس : « ان دماء الشهداء هي بذار خير للمسيحية » . والكنيسة المارونية لا تكتفي بهذا بل هي ترى ان خطية المسيح قد تشبّدت على تضحياتهم ؛ « هم حجارة كريمة

(١) لشهداء فرض خاص بهم في صلاة الليل لكل نهار . القوة الثانية . هذا عند المرات الكبيرة التي يروق بها على ذكركم . مثلاً القطعة الثانية من باعوث القوية الرابعة هي دوماً للشهداء .

(٢) الجسة الساعة السادسة ٥٥٥ .

(٣) ليل السبت القوة الثانية ٥٥٥ .

(٤) ليل السبت القوة الثانية ٥٥٥ .

(٥) CYPRIEN, *Epist.* LVII,2, ainsi dans *Eucharistia*, p. 58.

(٦) ليل الأحد القوة الثانية ٥٥٥ .

جعلها السَّء في اساس كنيسته^(١) « وعظامهم موضوعة فيها كبرر حياة منها
بحري غنى المحتاجين »^(٢).

ولا يستغرب هذه الأقوال : أما شيدت انكنيسة معابدها : حيث وجدت :
على عظام الشهداء . أما قدمت الدبائح على قبور الشهداء وحتى الآن عندما
تنى كنيسة جديدة ألا توضع في المذبح عظام الشهداء ؟ وكأني بالكنيسة تريد
ان تبرهن بهذا عن الاتحاد الوثيق الذي وصل اليه الشهداء مع المسيح فحصدت
ثم المذبح الذي منه تأتي كل النعم « من الآن وصاعداً اكون مذبحاً وذبيحة
وغفراً » يقول القديس افرايم بلسان السيد المسيح .

وهذا الاكرام يلبى حناً بالشهداء . لأهم شخصياتهم : التي هي عطية
الاسان الكاملة لله : محبوب خير جواب عنى معنى الافحارستا الذي هو
عطية الله الكاملة للانسان وريادة عن النعم التي يشتركون في اعطائها العالم
هم لنا علامة الاتحاد الوثيق بالله وعربون له لأن القربان هو في اصل هذا الاتحاد
والباعث اليه . تصلي الكنيسة اللاتينية هكذا : « تقدم اليك ايها الرب الاله
هذه الذبيحة التي كانت المصدر الحقيقي لاستشهاد عميك حتى نكرم
موتهم »^(٣).

القربان رباط المحبة

القربان غذاء والشهداء بمدوننا من القوة التي غدتهم وهكذا يصبح بمقدار
انكنيسة ان تمشي اكثر قوة تفكر بالله ولا تفكر الآ به . واذا اتجه الاخوة نحو
بعضهم بعضاً واذا ما اعاروا الآخرين انتباهاً فما ذلك الا محبة بالمسيح الذي
هو « رباط المحبة وعلامة الوحدة » كما يقول القديس اغوستينوس .
اماً وقد وصل ابن الكنيسة الى هذه الحالة فامتلاً من سر المحبة وعبر عن
امتلائه بمحبة الله حتى بذل النفس فلا يمكنه ان يتوقف عند هذا الحد بل انما
محبة تشع في الاتجاه الثاني اي ان محبة الله لا تنسب محبة اخيه الانسان وكيف هذا
والله محبة ؟ اتلمس المحبة ما هو ذا كما يفعل الأناني ؟ ألا يعلمنا القديس
يوحنا : « ان قال احد اني احب الله وهو يفيض لأخيه فهو كاذب لأن من
لا يحب اخاه الذي يراه فكيف يستطيع ان يحب الله الذي لا يراه » ؟ (يوحنا
٤/٢٠) .

(١) الساعة التاسعة من نهار الأربعاء ١٩٥٤ .

(٢) ليل الخميس القوية الرابعة ١٩٥٤ .

(٣) Secrète de la IV^e Férie après le 3^e dimanche de Carême.

ان في الفرض الماروني أكثر من نص يدلنا على ان التقربان هو «رباط المحبة». ان هذا التعبير موجود في السريانية فيقال في التقربان انه «نَحْنًا وَنَحْنًا» «رباط المحبة»، ولهذا عندما تطلب الكنيسة تقوى: «امنحنا ازمة السلام ونحصب الصالحات واربطنا برباط محبتك ومحبة بعضنا بعضاً»^(١) .. وهناك تعبير ثان في نعت التقربان. فهو «نار محبة الابن» وقد رأينا ما كان مذهب هذه النار في قلوب ابناء الكنيسة فراح الكثيرون منهم يردون على هذه المحبة بالمحبة ورأينا خاصة كيف وجدت لها في قلوب الشهداء مسالك طيبة فكانت مقابلة المحبة بالمحبة قوية سامية. وهل من شخص طالب بالمحبة حتى الثلاثي فخالها بالقدر الذي طالب بها المسيح وحظي عليها؟ فهذه النار ايضاً أخذت التقليد كل التقليد. حتى ما عادت تكتفي ان تبشر بها بل تحب بعضنا بعضاً محبة كاملة لا انقسام فيها شأن التلاميذ المجاهدين»^(٢) بل راحت تطلب من السيد ان ينالها هذه النعمة نعمة اظهار المحبة في الأعمال. فهي لا تريد ان تنعم وحدها بل تطلبها للجميع فهي ترجو السلام للعالم: وازدهار الوطن والمدينة، والدير. وتصلي للمرضى، والأرامل واليتامى، المسافرين، الفقراء، ولا تنسى انفس الراقدين فتطلب لهم الرحمة وغفران الخطايا، وحياة هادئة: وآخرة صالحة...^(٣). وعلى سبيل المثال نورد هذه الصلاة: «ليكن ايها الرب الاله الأمان لبيتك: والسلام لأديرتك: والشفاء لرعيتك: احفظ كمينتك بمحناتك ليخدموا قدامك بالبر. اغفر للخطاة فيرجعوا اليك. اقبل التائبين بعذوبتك، اغن الاغنياء بالصدقات: علّ المساكين بمحناتك: قت الأراامل بنعمتك: رب اليتامى بمحبتك: اعقد الشيوخ بمحبتك: احفظ الشبان بصليتك. اجمع المشتتين لحظيرتك: ارجع الضالين لمعرفتك: بارك الأبرار بعطفتك: ثبت البتولين بارادتك: احفظ المتزوجين بالتقاوة...»^(٤).

ففي هذا كفاية حتى يظهر لنا الافخارستيا كسر محبة. نعم ان كل من اسرار الكنيسة يتوي فينا محبة بعضنا بعضاً: ولكن هذه التفضيلة تبلغ شأوها واقصى حدودها مع الافخارستيا. هو المسيح يعمل فينا ويجعل في كياننا تحويلاً: والمسيح هو المحبة بالذات. فهو لا يخلص نفسه فقط من كل الأعداء

(١) ليل الاثنين القليلة الأولى فرميين.

(٢) مساء الأحد التثنية الثاني ص ١٠٠.

(٣) هذه هي التمام التي تكون الصلاة الجامعة بل العلو التي لا يخلو منها فرض من فرض الشعبية.

(٤) الثلاثاء للساعة الثانية ص ١٠٠.

والعواصف التي تعيق بنا سبيل محبة بل انما بقلقل اعماق كيانا الفسني موحياً
نفسنا نحو اعمال محبة ايتاحية كإعطاء انذات وتضحيتها . كيف لا تكون هذه
حالة من تنازل المسيح بقلب محب ؟ كيف لا تكون له هذه سواعده واحساساته
وقد امتزجت هذه بتواعر المسيح واحساساته النبيلة فرفعتها : الا يقول الكاهن :
« انك امتزجت بنا ونحن امتزجت بك »^(١) .

القربان علامة الوحدة

ان القديس بولس يعلننا ما معنى ان المسيح امتلكتنا . فنحن لا نتمكن
ان نحبه الا ان نحب من يحب ولا نخذنا اليه الا ونحبه بكليتنا نحو احواننا .
ولا يمكننا ان نفصل بين المسيح والآب الذي هو محبة ولا بين المسيح واعضاء
جسده . فالافخارستيا واحدة وحدة لا تتجزأ .

هذه المحبة التي هي « تمام الناموس » و « رباط الكمال » تصير العناصر
التي تؤلف الكنيسة على اختلافها في بوتقة الحب الواحد وجمع الأعضاء في
جسد واحد ، وتهدم الحدود التي اقامتها الأنايات الفردية والاجتماعية . « فثمة
ليس بعد يوناني ولا يهودي ولا ختان ولا قلف ، ولا اعجمي ، ولا اسكوتي ، ولا
عبد ولا حر ، بل المسيح ، الذي هو كل شيء وفي كل شيء »^(٢) .

وهكذا نجد ان القربان هو « علامة الوحدة » كما هو « رباط المحبة » .
وفي الحقيقة عمل القربان واحد . فير في آن واحد يربطنا برباط محبة وبمنطقنا
بمنطقه وحدته . فالمحبة تجمع وتوحد القلوب كما ان الوحدة هي مصدر محبة بين
اعضاء الجسد الواحد . وانما نجد في الفرض الماروني صلاة يطلب فيها الكاهن
من الله « ان يربطنا برباط محبة ومحبة بعضنا بعضاً » : ثم يطلب منه « ان
بمنطقنا بمنطقه الايمان الواحد ويوحد بعضنا لبعض الآخر »^(٣) .

فن هو مبدأ الوحدة هذه « سوى حمل الله الحي الذي تكلم من على
الصليب وعلى صوته اللذيذ والشهي تجسعت الشعوب حوله وقد كانت متبددة
في عبادة الأصنام : والمك اختار الذي وضع على منارة الصليب فوافت
جميع البرايا مسرعة للتلذذ باستنشاق طيبه » . فأسرعت هذه الشعوب والبرايا

(١) صد المسيح الصلاة التي نال للشيد الأول .

(٢) كولي ١١/٣ .

(٣) ليل الاثنين الثيمة الاول فرديون .

ووجدت مَنْ وَحَدَّ بينها وجمعها حوله : وجدت المسيح « الذي كسر جسده واطعمها »^(١).

فدعوة المسيح لجميع الشعوب وانكاؤهم على مائدته الخلاصية الواحدة وتقديمه ثم جسده الواحد لا بدَّ من ان يخلق بينهم رابطاً يوحدهم . لأن الخبز واحد فالجماعة التي تشترك فيه واحدة . فالمسيحيون يتكلمون وحدة روحية لأن جسد المسيح الحي هو خبز الكنييسة الواحد الذي بأخذنا كلنا اليه . وبما اننا نحيا كلنا من حياة واحدة هذا لا نؤلف الا كائناً واحداً حياً . فلقد قال المسيح « كما ارسلني الآب الحي وانا احيا بالآب الذي يأكلني يحيا هو ايضاً بي »^(٢).

وفي القرص الماروني بشهر من طلبات الكنييسة السلية ان القربان هو « علامة الوحدة » . انها تطلب من القربان ان يجعل الأمان سائداً في اربع اقطار العالم وان يزيل منها الخصومات والانشقاقات والشكوك الرديئة وان يقيم فيها رعاة يسوسونها بحسب مرضاته ومحمون بنها في حضنها بالايمان الحق . « وان يكون صليبه حافظاً لرعايتها فيجمعوا به التقطيع نحو والده »^(٣) وجل اقوي وادل على هذه الوحدة من كلمات الكاهن قبل المناولة وذلك بعد ان يكون رش من الدم على الجسد وفرج الجسد بالدم ؟ « وحدت يا رب لاهوتك وناسوتنا وناسوتنا ولاهوتك : وحيويتك وميتوتنا : وميتوتنا وحيويتك : اخذت ما لنا ووهبتنا ما لك » . فتي هذه الكلمات معنى يدل على الجماعة الواحدة التي وحدها السر الالهي ومارس الجسد بالدم وطرحه في الكأس الا رمز لاتحاد الرأس بالاعضاء من رؤساء وكهنة وشمامسة وسؤمنين . وقدتما كانت الكسر المقدسة المزوجة بالدم ترسل للتائين حتى يتيقن الجميع انهم واحد مع المجتمعين للذبيحة رغم بعدهم عنهم .

من ثمار الوحدة : المحبة الشاملة

ولا عجب اذا فكرت الكنييسة وقت الذبيحة بالغائبين من ابناها بعد الذي يظهر لنا من صلاحها الشاملة في الشجيرة . فهي تطلب الأمان ليحل في ديارها وبين محبيها . وتتضرع حتى ينجم ايضاً على العالم اجمع « ليحل امانك يا رب في اربعة اقطار العالم » وامن يا رب اقاصي المسكونة ولاش

(١) اللثاء السابعة السادسة ف٥٥ ص ٥٥ .

(٢) يوحنا ٦ / ٥٨ .

(٣) سار الاحد النشيد .

الحروب والحصرات من كل الخليفة^{١٦} هذه هي صلاة الكبسة . «المسيح
خلص الجميع بدمه^{١٧} والعيد الجديد الذي احلده على نفسه تجاه ابيه
انما كان ليخلص الشعوب كلها ، ارسل ابن الله من جبل الربوتين العهد الجديد
للتعرب التي خلصها بتصلبه^{١٨} . فالمسيح جاء يقدم نفسه فداءً عن البشرية
الخاطئة وحملها كلها في قلبه « واهرق عن كل شخص من افرادها نقطة دم
معية » كما قال بسكان .

وكأنى بالتصليب (سهل الدم معصم) واشهير الذي فاض على الخجلة
في منتصف الارض^{١٩} لا يزال مركزاً حتى الآن في وسط الأرض منذ ليلة
الغناء السري شجرة خلاص المدينة اذ قال المسيح « اصنعوا هذا لذكري » .
وهو لا يرح يعطي العراية ثرة آلامه وموته وقيامته اذ عندما يقدم الكاهن الذبيحة
الاهية يجدد المسيح عندها ماعيل ذبيحة التصليب الالاهية . وهكذا يتابع
عمله الخلاص طالما ان الذبيحة تصنع تذكيره . ألم يقل ايضاً : « من اجلكم
ومن اجل كثيرين يهراق هذا الدم » .

اما كيفاً نعم الفائدة العالم كله فهذا سؤال لا جواب له في الشجيرة .
ولكن البطريرك الدويهي يقول : ان القربان يفيد الجميع بصنفته سر وذبيحة .
فن حيث هو سر يفيد الذين يتناولونه . ومن حيث هو ذبيحة يفيد العالم
أجمع « ان جسد الرب يفيد كذبيحة الذين يقدم عنهم . وهذا السر يفضل
جميع الاسرار لأنه يحوي النعمة ورب النعمة . وكما ان الرب يموت على التصليب
منح الغفران كدفوة لجميع الناس كذلك اعطانا جسده في القربان وامرنا ان
تقدمه لذكري موته حتى يكون فاعل الغفران في كل واحد منا يتناوله او يقدم
من اجله^{٢٠} . وهذا ما يعنيه اللاهوتي الأب « De la Taille » عندما
يقول : ان القربان ، السر والذبيحة . والسر لأنه ذبيحة يكمل الخلق الأبدي
وذلك بامتداده عبر انسانية الابن الى الاعضاء الذين يكوّنون جسده الى
الأبد^{٢١} .

(١) صبح الاربعاء العادة الرابعة .

(٢) السبت الساعة السادسة صباحاً .

(٣) ليل الاثنين القوية الرابعة الشد البيت الخامس .

(٤) ليل السبت القوية الثانية منه صم .

(٥) اعطفاق الدويهي صلاة الأقداس الجزء الثاني ص ٣٩٩

(٦) الموسوعة القربانية الشعبية ١٩٤٧ ص ١٩٣ / Eucharistia ٥

وفي الفرض الماروني مقطوع بدلنا على منقول القربان الموضوع في العالم .
وان لفيه نظرة الى المستقبل تدلنا كيف ان البشرية وكان مساً اصلياً تبرخ
الى المسيح وتربض عند اقدامه اذ به وحده نجد الانسان عابته اتصوى . وكأني
بالبشرية ممسكة بالصليب . ناضرة الى المصلوب وقد اعيها الشعب المضطرب
والثفتيتس الممل مرددة كلام السامرية « اعطني يا رب من هذا الماء فلا اعطس »
(يو ٤/١٥) وأخذة لنا كلام القديس بطرس : « الى من نذهب يا رب ؟
وعندك كلام الحياة الأبدية (يو ٦/٦٩) وهذا هو النص الماروني « ايها المست
المختار الذي وضع على منارة الصليب فوات جميع البرايا مسرعة للتلذذ باستشاق
طيه . يا ابن الملك النبي والمجد اندي اخي السماوات واتخذ لأجل خلاص
اولاد آدم . يا حمل الله الحي الذي تكلم مع على الصليب وعلى صورة اسيد
وانتهي بجمعت الشعب حوله وقد كانت متبددة في عبادة الأصنام ففتح
امامهم باب العباد وبالمياه النقية غسلهم وبررهم من ادناس الآثام . كسر
جسده واحمهم وبدمه الحي غفر خطاياهم وذوبهم . وفي مقطع آخر تظهر
لنا البشرية في أوج فرحها وغبطتها لهذا رأيت ان تشكر « المخلص الذي ابهجنا
اذ آمنت بعلمه » ولكن انى لنا وحدها ان تقوم باداء الشكر فراحت تصرخ
وتنادي الكون باجمعه بمن فيه وما فيه من خلائق عاقلة وغير عاقلة حتى يشاركها
بالسبوح اذ الخلاص كان شاملاً : والحياة عامة . فخلص الانسان وعادت
اليه الحياة واحتق الكون معه . فليحول الآن اينته الى اناشيد وفي هذا يقول
الذين آمنوا بالصليب « يا جميع الاحياء النساطقين ويا جميع الطباع الغير
الناطقة سبحوا الرب لأنه نزل من السماء ولبس جسداً وعلق على الصليب ومنح
البشر حياة وخلاصاً . يا كنيسة الله جميعها ويا جميع من فيها من كهنة سبحوا
الرب لأنه بقيامته فرح كنيسة وابهج جوقة التلاميذ ومنح البشر حياة وخلاصاً » .

القربان عربون حياة ابدية

فيديو لنا مما تقدم ان القربان مبدأ حياة لا يخلصنا من الموت فقط بل
يجري في الجسد السري الحياة الالهية وهو مبدأ تغذية يغذي هذه الحياة . فدمه
التمين هو حياة ودفق حيوي على الصعيد الروحي يجري في عروق الاعضاء
فيحفظ قواها الالهية ويجدها ويربطها برباط المحبة . ويظهر لنا انه تيار لا
يسر الكنيسة في الحياة الحاضرة فقط بل يرافقتها الى الحياة الاخرى . ألم يقل

(٣) ليل السبت القوية الرابعة للتشيد .

المسيح في اغياله « من يأكل جسدي ويشرب دمي له الحياة الأبدية وأنا اقيمته في اليوم الاخير »^{١١} .

وفي الفرض الماروني تبيين لنا هذه التفاعلية جلية . فالمسيح « جاءنا من مريم خبز الحياة اكله آدم وقام حياً من الموت »^{١٢} و « آدم هنا هو كل انسان يتقدم من الساقية . » فالذين اكلوا جسده وشربوا دمه الطاهر يقومون من التراب وبه ينتفضون من الرسم وبه يتشجون حلة المجد^{١٣} . فيظهر من النص ان الثريان هو قوة تبعث المائتين من التبور وتلبسهم حلة المجد الأبدية . بدون اسماءهم في سند ملكوت العلاء . وتنشئنا على مديح العلاء المقدس وذلك بعد ان تكون انقذتهم من النار الجهنمية وفي هذا تصلي الكنيسة قائلة : « انقش يا ابن الله الحلي على المديح انقش في العلاء اسماء الموتي الذين انتقلوا من ابناء الكنيسة . فان جسديك ودمك امتزجا باعضائهم فتنطقاً النار الجهنمية فلا تدنو منهم . فلك يا رب وعد وقال : من يأكل جسدي ويشرب دمي هو في وانا فيه ويرث الملكوت »^{١٤} .

ولشدة ايمانها بقوة الثريان الخلاصية لا تحجم في ان تعين لكل عضو من اعضاء الجسد متعته في الحياة الاخرى وذلك جزاء لما قامت بها هذه الاعضاء هنا من اعمال خلاصية فبني تلتفت الى المسيح وتقول له : « الأعين التي شاهدت مجديك هنا فلتشاهد هناك حنوك العظيم . والآذان التي سمعت صوت اقبالك لا تسمع يا رب اصوات الألم : والافواه التي رتلت في الكنائس اهليها يا رب لترتل المجد : واللسن التي صرخت قدوس مرتها على تمجيدك : والايدي التي زيمت جسديك ودمك فلتأخذ منك غفران الذنوب : والأرجل التي ترددت الى ابيكل اسلكها في طريق الحياة »^{١٥} . وهكذا يمكن لأبناء الكنيسة جميعهم « ان يلتقوه بوجوه سافرة ويستريحوا في مساكنه الساوية في منازل اللذات النيرة وخاصة الذين تناولوه بأفواههم زاد البركات »^{١٦} .

وفي هذه تستقي الكنيسة ايضاً من التقليد الذي استقى منه الجميع فأتت

(١) يو ٦/٥٥ .

(٢) صلح الاربعاء الفريد الثاني البيت السابع .

(٣) الثلاثاء الساعة السادسة مساء .

(٤) ليل الثلاثاء انشيد مسا .

(٥) مسا الاربعاء الواثيت .

(٦) مسا السبت فرولين نحو النصف .

صلاتها واعتقاداتها مطابقة لصلوات آباء الكنيسة وتعاليمهم فيرى القديس اغناطيوس الانطاكي في القربان دواء لعدم الموت وعربون حياة خالدة مع المسيح. واتقديس اثنايوس « قوة واقية وعربوناً للقيامة والحياة الابدية » وآباء نيقية « سر انبعاثنا ». والقربان هو « لأجسادنا قوة عدم فساد. ولقد قال لاون الثالث عشر في إحدى رسائله عن القربان : « ان هذا السر العظيم هو سبب السعادة الخالدة وعربون انجد الابدي لنفوسنا واجسادنا ... ان اجسادنا الضعيفة النواحية تنتعش يوم القيامة بفضل القربانة الالهية. لأن جسد المسيح الغير المائت يزرع فيما يذار عدم الموت الذي يبت لساعته ومن هنا تتأني للنفس والجسد نعمة انجد والخلود. وهذا علمته الكنيسة دوماً معتمدة على كلام المسيح بالذات ^١ .

قال السيد المسيح : « بدوني لا يمكنكم ان تعملوا شيئاً ». وبالفعل ان رسالة الكنيسة صعبة بدون المسيح . هذه الرسالة التي لأجلها اتخذ المسيح جسداً تريبياً . والتي لأجل تسليمها كاملة تامة « صار الكلمة جسداً ». وليس من السهل يتقدر ان تتحمل الكنيسة اعباء هذه المهمة لو لم يكن المسيح معنا . ومن هنا كانت ذبيحته اليومية حتى يغذي المؤمنين ويمدهم بامكانياته الالهية . لقد قال القديس توما : « ان المسيح يعطي كل واحد منا بواسطة سر الافخارستيا ما اعطاه للعالم في سر تجسده وآلامه » .

فكنا رأينا هي الافخارستيا التي ترافق الكنيسة في طريق صعودها نحو الله . فهي الغذاء الذي يعطيها الحياة ويكملها والخبز اليومي « الذي ترد منه كل كل يوم موارد كأس الحياة والخلص : والزايد الذي تتناوله اذا ما جاءت في سفرها الطويل » . وهكذا يتمكن كل شخص ان يساهم في عمل خلاصه وخلص البشرية . ويظل القربان غذاء يغذي كل مسيحي والكنيسة جمعاء الى ان يبلغ المسيح كماله في البشرية « لأجل بيان جسد المسيح الى ان نتقي جميعنا الى وحدة الايمان ومعرفة ابن الله الى انسان كامل الى مقدار قامة ماء المسيح ^٢ .

نعم ان للعوامل الانسانية دورها في تاريخ الكنيسة وفي بيان جسد المسيح ولكن الذي يعمل خاصة في قيام البنين وديمومة الكنيسة وبقائها هو عامل فائق

(١) كذا في *Eucharistia* ص ١٩٥ .

(٢) انفس : ١٢/٥ - ١٣ .

الطبيعة . عامل يخرج عن نطاق المقدرات الانسانية ألا وهو بقاء المسيح مع كنيسته : رأسا معكم الى منتهى الدهر ... وابواب الجحيم لن تقوى عليها .
نعم . المسيح هو مع كنيسته وهو معها خاصة بواسطة سر القربان . ولذا تساءل اذا بطل القربان في العالم هل تدرم الكنيسة في الوجود؟ وهو معها بواسطة روحه القدس « لأن الذي نزل هز الذي صعد ايضاً فوق السموات ليحلاً كل شيء »^{١١} . ولقد صعد لأن انطلاقه خيراً لنا لأنه لو لم ينطلق لم يأتنا المغزي^{١٢} . وفي نهاية مطاف التاريخ ينسلم المسيح الخطيئة التي جعلها يراهب روحه القدس . « والتي اشتراها بدمه الكريم »^{١٣} جميلة لا عيب فيها . ثمرة حبه اللذيذ .

المصادر

١١ العربية

منارة الأقداس مار اسطفانوس التريسي ١٨٩٦

١٢ لثرنية

- J. BAUDOT, *Le Bréviaire*, Paris, 1929.
L. DUCHESNE, *Les origines du Culte Chrétien*, Paris, 1920, c. XVI.
H. DE LUBAC, *Méditations sur l'Eglise*, ch. IV, pp. 97-123, 1953.
K. ADAM, *Le vrai visage du catholicisme*, pp. 263-267.
H. DE LUBAC, *Catholicisme*, pp. 57-83, 1952.
P. BATTIFOL, *Etudes d'histoire: l'Eucharistie*, Paris, 1920.
Eucharistia, Encyclopédie populaire sur l'Eucharistie.
SAINT EPHREM, *Hymnes et Sermons*, Collection Lamy.
ERNEST MURA, *Le Corps Mystique du Christ*, t. II, 1937.
ANDRÉ DE BOVIS, *L'Eglise et son mystère*, 1961.
MARIE JOSEPH NICOLAS, *L'Eucharistie*, Collect. Je sais. Je crois, 1959,

(١) أنس ١٠/٤ .

(٢) يو ١٦/٧ .

(٣) ليل الأحد القنوة الرابعة النشيد .